. @ 123 @

الطرد الإبعاد بإهانة والطريد المطرود ، وبنو مطرود وبنو طراد فخذان من إياد . .

{ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ } إنما يستجيب للإيمان الذين يسمعون سماع قبول وإصغاء كما قال : { إِنَّ فِى ذالِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } ويستجيب بمعنى يجيب . وفرّق الرماني بين أجاب واستجاب بأن استجاب فيه قبول لما دعي إليه . قال : { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ } { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمّ } وليس كذلك أجاب لأنه قد يجيب بالمخالفة . .

قال الزمخشري يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون ، وإنما يستجيب من يسمع كقوله { إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى } . .

وقال ابن عطية هذا من النمط المتقدم في التسلية ، أي لا تحفل بمن أعرض فإنما يستجيب لداعي الإيمان الذين يفهمون الآيات ويتلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون . إذ هو طريق العلم بالنبوة والآيات المعجزة . وهذه لفظة تستعملها الصوفية إذا بلغت الموعظة من أحد مبلغاً شافياً قالوا استمع { وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ } الظاهر أن هذه جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ، والظاهر أن الموت هنا والبعث حقيقة وذلك إخبار من ا تعالى أن الموتى على العموم من مستجيب وغير مستجيب ، يبعثهم ا فيجازيهم على أعمالهم وجاء لفظ الموتى عاماً لإشعار ما قبله بالعموم في قوله { إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ } إذ الحصر يشعر بالقسم الآخر وهو أن من لا يسمع سماع قبول ، لا يستجيب للإيمان وهم الكفار . وصار في الإخبار عن الجميع بالبعث والرجوع إلى جزاء ا تعالى ، تهديد ووعيد شديد لمن لم يستحب وتظافرت أقوال المفسرين أن قوله والموتى يراد به الكفار . سموا بالموتى كما سموا بالصمّ والبكم والعمي وتشبيه الكافر بالميت من حيث إنّ الميت جسده خالٍ عن الروح ، فيظهر منه النتن والصديد والقيح وأنواع العفونات . وأصلح أحواله دفنه تحت التراب . والكافر روحه خالية عن العقل فيظهر منه جهله با تعالى ومخالفاته لأمره وعدم قبوله لمعجزات الرسل ، وإذا كانت روحه خالية من العقل كان مجنوناً فأحسن أحواله أن يقيّد ويحبس . فالعقل بالنسبة إلى الرّوح كالروح بالنسبة إلى الجسد . وإذا كان المراد بالموتى هنا الكفار فقيل البعث يراد به حقيقته من الحشر يوم القيامة والرجوع هو رجوعهم إلى سطوته وعقابه ، قاله مجاهد وقتادة . .

وعلى هذا تكون هذه الجملة متضمنة الوعيد للكفار . وقيل الموت والبعث حقيقة والجملة مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة { ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } للجزاء ، فكان قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك قاله الزمخشري . وقيل الموت والبعث مجازان استعير الموت للكفر والبعث للإيمان . .

فقيل الجملة من قوله والموتى يبعثهم ا مبتدأ وخبر أي والموتى بالكفر يحييهم ا بالإيمان . .

وقيل ليس جملة بل الموتى معطوف على الذين يسمعون ، ويبعثهم ا جملة حالية . والمعنى إنما يستجيب الذين يسمعون سماع قبول ، فيؤمنون بأول وهلة والكفار حتى يرشدهم ا تعالى ويوفقهم للإيمان ، فلا تتأسف أنت ولا تستعجل ما لم يقدر . .

وقرىء ثم إليه يرجعون بفتح الياء من رجع اللازم .